الأهرام

المصدر :

التاريخ :

العالم الإسلامى والصراع فى القوقاز

لايجوز أن يفوت علينا حقيقة مايحدث فى القوقاز ودلالاته. والذى تتناقله وكالات الأنباء يشير إلى أن مجموعة من العناصر الإسلامية النشيطة قد أعلنت استقلال داغستان عن الاتحاد الروسى وأنشأت جمهورية إسلامية توشك أن تندمج مع الشيشان المجاورة. وكان رد الفعل الروسى بطيئا لأسباب عديدة أبرزها الأزمة السياسية وتعقد قرار التدخل فى ظل تجربة الشيشان، وأخيرا قررت موسكو التصدى بالقوة لهذه الحركة الانفصالية. وقد تضمنت رسائل الاعلام الدولى إشارات يهمنا تحليلها قبل أن نقدم دلالات الحدث وماذا يجب أن يكون عليه موقف العالم الاسلامى من هذه القضية.

د. عبد الله الأشعل

أولا: الرموز الاعلامية فى تغطية الأحداث يهمنا من هذه الرموز ثلاثة:

الرمز الأول يتعلق بدور إسرائيل فى مواجهة الانفصاليين. فقد أعلن من الجانب الاسرائيلى والروسى وفى الاعلام الدولى أن إسرائيل تساند روسيا عسكريا فى عملياتها ضد ماأسمته بالأصوليين الإسلاميين. ومعنى ذلك أن إسرائيل قد جعلت نفسها طرفا دوليا للتصدى لأية أحداث ترى هى أن للاسلام صلة بها، وهو دور عالمى لاينبغى لدولة عادية. كما أن الدور الاسرائيلى يتضمت التدخل العسكرى من خلال الوحدات الروسيةوتقديم المعلومات اللازمة عن مواقف الخصم فى الميادين العسكرية وإمدادات الأسلحة ومصدرها، مما يترك لإسرائيل حق توجيه الاتهام لأية دولة مثل إيران أو غيرها، فضلا عما يعنيه ذلك من تداعيات بالنسبة للصراع العربى الإسرائيلى والمقاومة الاسلامية فيه. ولاشك أن دخول إسرائيل فى المشكلة قد يهدد بتدويلها ومن مصلحة روسيا أن تعتبر الأمر شانا داخليا لاعلاقة لأحد به سواء تعلق الأمر بمن يساندون روسيا أو الثوار. ولاشك أيضا أن الدور الإسرائيلى يعد اختبارا للقوى الاقليمية والعالمية ومواقفها، فإن سكت عليها، توسعت الأدوار الإسرائيلية وحجتها فى ذلك أنها تقوم بما كانت تقوم به بريطانيا العظمى لدعم السلام البريطانى فى القرن التاسع عشر كمقاومة الرق فى أعالى البحار ومناهضة المعتدين على سلامة الملاحة. وهاهى إسرائيل تقاوم - فى أى مكان - الأصولية الاسلامية فمن يقاوم الأصولية اليهودية التى تعوق السلام؟ وهل يسكت العالم الاسلامى على هذا الدور الخطير أ تراه لايدرك - لفرط مايعانيه من سكرات الموت والاحتضار - مغزى هذا التطور؟ أما الرمز الثانى فهو يتعلق بوصف العناصر الثائرة بأنها وهابية. نريد أن ننبه إلى خطورة هذا المصطلح فهو ينسب إلى تطبيق الشريعة الاسلامية بالطريقة التى فهمها الشيخ محمد عبد الوهاب. وهو من أتباع الإمام احمد بن حنبل. وعندما تصدى عرب الجزيرة لبريطانيا فى بدايات القرن التاسع عشر إبان غزوتها للخليج أطلقت بريطانيا على عرب الجزيرة (السعوديين) الوهابيين مما طبعها بطابع سياسى كريه فى نظر القارئ، ثم طبعها بطابع دينى خاص يتصف بالانغلاق والتشدد مما يترك الانطباع بأن الوهابية هى فرع متميز من فروع الإسلام أو فرقة من فرقه الدينية والسياسية، وهذا كله غير صحيح تماما مثلما يطلق المستشرقون على المسلمين «المحمدين» وهو تشويه لعظمة الإسلام وقدر المسلمين وتصويرهم على أنهم من أتباع عصابة بما ينسجم مع نمطيات الفكر الغربى. ولايخفى أن أطلاق صفة الوهابيين على ثوار داغستان يصم السعودية مباشرة بمساندة هؤلاء الثوار، دون أن يكون التحقق من ذلك هو محل الحديث أو موضوع التحليل. ونحيل هؤلاء المغرضين إلى قراءة تاريخ الإسلام فى القوقاز لندلهم على أنه إذا كانت الحركة الوهابية قد ظهرت فى الأدبيات الدينية خلال القرن الثامن عشر (بدءا من ١٧١٦) فإن المسلمين فى القوقاز قد دخلوا الإسلام عام ٩٢١ ميلادية وهم أكثر أصالة من تاريخ الامبراطورية الروسية وقاوموا توسعها عبر

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

القرون. أما إن قصد الإعلام المشبوه بوصف الثوار بالوهابيين بأن متطرفين من الجزيرة قد أشعلوا النار فى المنطقة إشارة إلى بن لادن فهذه قضية أخرى لها وقفة مختلفة. أما الرمز الثالث فهو الأصولية الإسلامية ودون خوض فى تفاصيل يضيق بها المقام، لايمكن أن يفوت القصد على المتابع وهو ضرب الإسلام والمسلمين وتشويه صورتهم وإعادة ترتيب تحالفات ضدهم يدخل فيها القوميون الروس، فبدلا من أن ينصب الغضب على عجز الحكومة المركزية عن إقناع الأطراف وأن يتجه الغضب إلى المسئولين حقا عن ذلك فى الداخل والخارج، تتجه النقمة إلى المسلمين وبخاصة إلى فئة أشد تطرفا فيهم، أى أن الصراع بين المسلمين وبين روسيا. ويبدو أن موسكو فهمت الأمر على هذا النحو ويدل على ذلك تلك الرسالة التى وجهتها موسكو إلى الأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الإسلامى التى تحذر فيها الدول الإسلامية من التدخل فيما تعتبره روسيا شأنا داخليا وهو ثورة داغستان.

ثانيا: دلالات الثورة فى داغستان:

يضم الاتحاد الروسى ٨٩ وحدة سياسية،منها ٢١ جمهورية تعد داغستان إحدى منطقتين تتمتعان بالحكم الذاتى، ويضم القوقاز ١١ جمهورية بعضها خارج الاتحاد الروسى وهى جورجيا وأرمينيا وأذربيجان. وبصرف النظر عما يقال من أن احتمال اتساع الثورة وارد ليضم كل المناطق الإسلامية، أو أن ذلك إيذان بانحسار وتفكك الاتحاد الروسى ومايؤدى إليه ذلك من آثار جيوبوليتكية واقتصادية خطيرة تحسبت لها إسرائيل مبكرا، فإن مايحدث فى داغستان لاشك يشبه صراع الكونغو، ويقدم لنا درسا فى السياسة المعاصرة وهو أن ضعف الحكومة المركزية يشجع المناطق الهشة سياسيا أو اجتماعيا أوثقافيا على الخروج، خاصة فى حالة مسلمى القوقاز الذين لهم تاريخ فى مقاومة التسلط الروسى ثم السوفيتى ثم واجهوا بحالة الضعف المتزايد لسلطات الاتحاد بعد انتهاء الحرب الباردة. ويبلغ عدد سكان داغستان مليونين معظمهم مسلمون سنيون، ولكنها تضم عددا هائلا من الأقليات الوطنية والدينية، ويعيش حوالى ٧٥٪ من سكانها تحت خط الفقر خاصة أن ٨٥٪ من ميزانيتها يأتى من موسكو. من ذلك يتضح أن التمرد والحرب يضعف الطرفين، ونحن نرى أن هذه فتنة عبر عنها خير تعبير مجلس فقهاء روسيا فى يوم ٢١ أغسطس، فالحرب مدمرة للطرفين، والفتنة تقضى على الاتحاد الروسى وتمتد إلى بقية القوقاز، كما أن داغستان لاتستطيع بذاتها أن تعيش دولة مستقلة سياسيا واقتصاديا، ولذلك يبدو أن الأمر أكثر عمقا مما تبديه الأحداث على السطح، حرى بالعالم الاسلامى أن يتفهم حقائق الأوضاع وأن يدعو إلى تسوية سياسية عاجلة تحقن دماء المسلمين والروس، وتقطع الطريق على مكاسب يحققها أعداء الأمة الذين يحسبون لكل شئ حسابه، ويكفى العالم الاسلامى مايعانيه فى دولة وأطرافه وأقلياته، وليعلم أنها مؤمراة جديدة على الإسلام والمسلمين. «ربنا لاتزرع قلوبنا بعد إذ هديتنا».

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية